الدّلالات المتنامية بأساليب البيان من السّنة النّبوية

– أثرها في الوعي الوقائي من جائحة كورونا –

The growing significance of the statement methods from the Prophetic Sunnah - Its impact on the preventive awareness of the Corona pandemic -

د. آزاد حسّان حيدر شيخو
جامعة الموصل – كلية التربية للعلوم الانسانية – قسم اللغة العربية

Azad Hassan Haider Sheikho
University of Mosul – College of Education for Human Sciences- Department of Arabic Languag

azad632000@uomosul.edu.iq

تاريخ الاستلام ٢٠٢١/٦/١٣ تاريخ القبول ٢٠٢١/٧/٥

الكلمات المفتاحية: الوعي الوقائي، الدلالات المتنامية، سلسلة المجاز .

Keywords: Psychological transformations - novels - Mohammad Al-Gharbi - personalities - al'ana

الملخص

شهد عالمنا المعاصر الاكتساح الكارثي لفايروس كورونا (كوفيد 19) المستجِد في عام (٢٠٢٠)، وعلى الرُغم من الاجراءات الاحترازية والعلاجية التي طبقتها معظم دول العالم فإنّه مازال يواصل انتشاره البغيض بين ملايين البشر ويحصد أرواح مئات الألاف منهم . وقد استعانت البشرية دولًا وشعوبًا بمستلزمات الأرض المادية وبمتطلبات السّماء الرّوحيّة للقضاء على الوباء المستشري للحدّ من تداعياته، والأمل منشود ـ بإذن الله تعالى ـ للتغلب عليه، والسّنة النّبوية الشّريفة في خطابها المبارك دأبت في استكمال منهجية الهداية الممزوجة بالإيمان بأساليب بيانية باهرة، تدرأ من خلالها المخاطر الجسمية والنفسية المحدقة بالإنسان بوصفه خليفة في الأرض، فدعا المؤمنين خاصّة والنّاس أجمعين للعمل بما يحفظ الضّرورات الخمس : الدّين والعقل والعِرض والمال مقرونة بحفظ النّفس من المهالك ولاسيما فايروس كورونا وتداعياته الخطيرة .

Abstract

Our contemporary world has witnessed the catastrophic sweep of the new Corona virus (Covid 19), and despite the precautionary and treatment measures applied by most of the countries of the world, it continues to spread its hateful spread among millions of people and kills hundreds of thousands of them. Mankind, states and peoples, sought the help of the earth's material requirements and the spiritual requirements of the sky to eradicate the rampant epidemic to limit its repercussions. The discourse of the noble Prophet's Sunnah continued to complete the methodology of guidance mixed with faith with impressive graphic methods.

المقدمة

يعدّ الخطاب مظهرًا لغويًا ينتمي إلى منظومة مرجعية لها القدرة على تنظيم السّلسلة الكلامية، بدءًا بالصّوت ومعطيات المعجم اللغوي مرورًا بالبناء الصّرفي وقواعد التّركيب فضلًا عن مراعاة أحوال المقام والسّياق الثّقافي(١)، فاللّغة بهذه الوظيفة تعيد ترتيب الموضوعات والصّور الذّهنية بما يمكن فهم المحيط الفكري والمادي الذي نعيش فيه، فكلما ارتقى التّفكير ارتقت معه اللّغة التي تعبر عنه دون إغفال للمقتضى الاجتماعي الذي يعدّ من أقوى خصائص اللغة فضلًا عن جوهرها وروحها(٢) ؛ لتصبح اللّغة حينها أداة تعبير عن المعاني بكلّ أشكالها سواء كانت شاهدة أمام الانسان بوصفها تجاربَ أم غائبة بوصفها موضوعًا مُدركًا، فالمعاني ليس القصد منها إظهار ما يدل عليه القول بصور ذهنيّة وضعت بإزائها الألفاظ فحسب، بل للمعنى طريق آخر يستحصل من اللّفظ حينما يُدرَك ويتحقق في العقل مفهومًا(٣)، فالمفهوم يُعدّ الصّورة الذهنيّة التي وضعت بإزائها الألفاظ، وعلى هذا الأساس حصول المفاهيم في العقول متفاوتة على قدر قوة الفهم والإدراك (٤) .

فالألفاظ بوصفها دلالات توصل الأفكار والأشياء بصّور ذّهنية، وحينما تفهم وتدرك في العقل تصبح مفهومًا، فلا ثمّة علاقة قارة صارمة بين المعنى والمفهوم، وإنّما هي علاقة متأرجحة بين الاثنين تحدث مساحة حيوية للإبداع في إنتاج المفاهيم المبتكرة فضلًا عن تنامي دائرة الدّلالات المتنوعة، فمهما أبدع المتكلم بصياغات الكلام في تشكيل المعاني فإنّه لا يمكن له تحديد المفاهيم المتحصلة بالدلالات المتوخاة ؛ لأنّها مرتبطة بعقول المتلقين المختلفة فضلًا عن مدى وعيهم بالمحيط الفكري والمادي لديهم، فالمفاهيم التي تمثل الصّورة الذهنيّة للمعاني أوسع مساحة في التّشكل، وفضاؤها يتنامى كلما كان الأنسان متكلمًا في محيطه البيئي والكوني.

(١) مبادئ اللسانيات، د.أحمد محمد قدوري : ٣٣٨ .

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان : ٢٣ .

(٣) التعريفات، العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني : ١٨٥ .

(٤) الكليات، أبو البقاء أيوب الحسيني الكفوي : ٨٦٠ .

الدّلالات البيانيّة والمفاهيم المتنامية :

تعدّ الدّلالات البيانيّة أفضل الأطر في توليد المفاهيم المتنامية ولا سيما فضاء الدّلالة المجازية ؛ لأن محرك اشتغال هذه الدّلالة يرتكز على المعاني الثواني النابعة من الذّهن، والذّهن محل تصور المعاني في الفهم والإدراك، فهو ملكة قواعد واكتساب التّصورات وتأليف الأحكام والاستدلالات(١) .

فالدّلالات البيانيّة لها وظيفة رئيسة تتمحور بمقتضيات (الإبانة) في مستوياتها المختلفة ولا سيما في توليد المفاهيم المتنوعة، مما أكسب مفهوم البيان وظيفة مشتركة بدلالتين في عملية واحدة، دلالة لازمة من الشّيء ذاته تفيد: الظّهور والوضوح، ودلالة مقصودة إلى الغير تفيد: الإظهار والإيّضاح للشّيء المقصود، ومن فضاء الدّلالتين نستنتج مستويين لعملية البيان: مستوى وضعيّة الشّيء بالنّسبة إلى الأشياء الأخرى المرتبطة به وما يتعلق بالوجود الأنطولوجي، والمستوى الآخر يشير إلى حالة الشّيء بالنّسبة لمن يراه ويرصده من البشر وما يتعلق بالوجود المعرفي(٢) .

فحين يروم المتكلم أن يفصح عن مراده من فكرة ما في دلالة بيانيّة فإنّه يتوخى الإفادة من هذه الصّياغة : الإفهام والإقناع بغية التأثير، ولكي تؤدي الصّياغة فاعليتها في المتلقي لا بد أن تتجاوز بكلماتها وجملها وقضاياها الوجهة التّقريرية في الدّلالة إلى صياغات تتمثل فيها قيم فنيّة ونفسيّة بابتكار وطرافة وتصوير لا يمكن للدلالات اللّفظية المباشرة (المطابقة) انتاجها(٣)؛ لأنّ محل اشتغال دلالة المطابقة دائرة المواضعة اللّغوية من انطباق اللّفظ على المعنى بلا زيادة أو نقصان، وبحكم هذه العلاقة الوضعية بين اللّفظ ومعناه لا يتم التّطرق إلى التّفاوت في الوضوح والخفاء في التّعبير عن فكرة ما، بل لابدّ من توظيف دلالات أخرى لها القدرة على إنتاج المعاني الوافرة فضلًا عن قدرتها على تبئير المعنى وتكثيره، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق دلالة عقلية – إيحائية– تُعنى بالعلاقات الذّهنية في إنتاج المعاني؛ فتكتسب الفكرة الزّيادة في الوضوح والخفاء كما تكتسب النّقصان في الوضوح والخفاء(٤).

---

(١) الكليات : ٤٥٥-٤٥٦ ؛ وينظر: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا : ٥٩٥/١ .

(٢) الأصول– دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب–، د.تمام حسان: ١٨. وينظر: بنية العقل العربي، د. محمد عابد الجابري: ١٨ .

(٣) بناء الصورة الفنية في البيان العربي، د. كامل حسن البصير: ١٨٦-٢٧٠ .

(٤) الأصول : ٣٦٧ ؛ وينظر: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، محمد الولي : ١٥٦ .

وبمراعاة العلاقة الذّهنية تكون للألفاظ في تراكيبها لوازم بعضها أوضح لزوماً من بعض؛ لتفسح المجال في إنتاج دلالات معنوية لها مساحاتها وفضاءاتها في توخي المعاني، أمّا الإجراء الذي يعزز إنتاج مثل هذه الدّلالات فهو الارتكاز على فكرة (الجواز) والانتقال من معنى إلى آخر، أي بتجاوز الدّلالة الذاتيّة التي تجعل من الدّال والمدلول متلازمين تلازمًا مطلقًا إلى فضاء آخر قائم على الملازمات، إذ تكون العلاقة بين الدّال والمدلول هشّة – متأرجحة–، تمكن استبدال مدلول بآخر بقصدية واعية من خلال تدخل مستمر في اللّغة بالتغيير والانتقال من دلالة معنى إلى آخر على وفق متطلبات الأحوال [١]، وبهذه الإمكانية يشكل أسلوب المجاز أفضل إجراءٍ في الاستعمال التّعبيري لتوليد المعاني بصفة لا نهائية، فكلّ خطاب يحقق التّفوق الزّمني ويغادر منطقة السّكون الدّلالي يتمتع بنصيب وافر من المجاز وعلاقاته [٢] .

أمّا حقيقة التّفوق في وفرة الدّلالة البيانيّة للمجاز فتكمن في فلسفته وآليته الانتاجية في الكلام المستمدة من جهة مؤسسة اللّغة وليس من جهة واقع الأشياء الظّاهر المعاين أمامنا، وإنّ عدم الفصل بين الجهتين يُحدث خطأً جسيمًا يقع فيه من يطابق بين الحقيقة اللّغوية والحقيقة الواقعيّة، وقد أشار إلى ذلك العالم الأديب ضياء الدّين ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) بقوله : ((الحقيقة اللّغوية هي حقيقة الألفاظ في دلالتها على المعاني وليست بالحقيقة التي ذات الشيء أي نفسه وعينه، فالحقيقة اللّفظية إذن هي دلالة اللّفظ على الموضوع له في أصل اللّغة، والمجاز هو نقل المعنى على اللّفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره)) [٣]، فالحقيقة المجردة المطلقة ليست الحقيقة اللّغوية التي يعمل المجاز على تجاوزها واختراق قواعدها لينتج دلالات جديدة، فلا عداء ولا تضاد بين الواقع والمجاز، وإنه بالإمكان التعبير مجازا عن حقائق ظواهر الواقع من دون اتّخاذها حقيقة مجردة واقعة للعيان؛ لأن أسلوب المجاز يعبر عن حقائق ظواهر الواقع عبر اللّغة وليس عبر حقيقة الأشياء في الوجود، وكلما عظمت الحقائق كان المجاز معراجا لتجلي دلالاته[٤]، فدلالة البيان بلغة المجاز هي نمط من الأداء يكون الكلام فيه باعثًا ايحائيًا فاعلًا في استشراف المعاني بمقاصد اضافية متجددة حسب وعي المتلقي، والعلاقة بين لغة المجاز والمتلقي حوارية يستشف منها المعنى، وتبعث في مخيلته معاني جديدة أو تحيله إلى

(١) الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي : ١٥٨ .

(٢) كيمياء المجاز بين الخطاب القرآني والانساني، الاستاذ بوعافية محمد عبد الرزاق : ٥٣.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير : ٣/٧٥ .

(٤) كيمياء المجاز : ٦٤–٦٥ .

استقبال معانٍ متعددة، فطبيعة اللّغة الحركية تكون في المجاز أثرى في أخيلتها وأغزر في ايحاءاتها فضلًا عن كونها أعمق فيما تدل عليه [١] .

ومن هذا المنطلق يعدّ المجاز مظهرًا للتّطور الدّلالي في إطار ما أطلق عليه بـ(تعميم الدّلالة)، المقصود منه الاتساع في مجال استعمال الكلمة من معنى إلى آخر بمراعاة علاقات عقلية معروفة في متطلبات الدّلالات البيانيّة : منها المشابهة في تشكيل الاستعارة، وعلاقة المجاورة في الكناية، والعلاقات العقلية في تشكيل المجاز المرسل بانتقال معنى الكلمة من المحل إلى الحال وعكسه أو من السّبب إلى المسبّب وعكسه وغيرها من علاقات المجاز[٢].

ويبدو أن مجال المجاز المرسل أكثر حيوية عند استعمالات الكلمة في التّعبير عن الواقع المتغير والمستجد[٣]، فالذّهن في حالة استعمال الكلمة للتعبير عن الواقع المختلف يوجه كلّ مرة المعنى إلى اتجاهات جديدة[٤] ؛ ليوحي إليها بمعان جديدة؛ تشكّل إطارًا من المجاز تتوارد فيه دلالة الكلمات على حسب استعمالها في التّطور الحياتي، وأما فاعلية مجال المجاز المرسل الحيوية فتكون بسبب علاقاته الذّهنية المتنوعة التي تنتج تناميًا دلاليًا بحسب التّطور الواقعي، فالدّلالة تزداد نماءً بزيادة المعاني المقصودة عند توسيع مجال استعمالها للكلمة، وسرّ تغيُر مدلولاتها في المفاهيم بقابليتها على استيعاب التّطور المعرفي والنّشاط الحياتي والاجتماعي .

---

(١) نظرية البيان العربي – خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي–، د. رحمان غركان : ١٩٦ .

(٢) التطور اللغوي – مظاهره وعلله وقوانينه–، د. رمضان عبد التواب : ١٩٤ .

(٣) فكلمة(مكتب) تدل في الأصل على نوع من نسج الصّوف الغليظ ثم أطلقت على قطعة الأثاث التي تستعمل الكتابة بعد تغير الأحوال وتطور النّشاط الحياتي، ثم على الغرفة التي فيها الأثاث وهكذا إلى استعمالها على المكان الذي يديرونه الأشخاص في أعمالهم . ينظر: التطور اللغوي– مظاهره، وعلله وقوانينه– : ١٩٣ .

(٤) المصدر نفسه : ١٩٣ .

دلالات البيان من السّنة النّبوية وأثرها في الوعي الوقائي :

لقد دعا القرآن الكريم والسّنة النّبوية المطهرة إلى اتباع السّبل المشروعة كافّة؛ لإنجاح إجراءات الوعي الصّحي وعدم التواكل والاستبطاء والأخذ بالأسباب النّاجعة؛ لأنّ عملية التداوي والوعي الصّحي لا يتعارضان مع التّوكل الشّرعي، إنّما ورد النّهي عن التداوي بالمحرمات إلا عند الضّرورة، وهذا تشجيع للبحث والاجتهاد في تناول الأدوية المناسبة فضلًا عن تهيئة الأجواء المناسبة للوعي الصّحي ولا شك أن الشّفاء بيد الله تعالى، وقد أسهمت الدّراسات الطبّية الحديثة في تقديم فهمٍ جديدٍ لآيات القرآن الكريم والأحاديث النّبوية التي تتعلق بالاستجابات المرضية الفسيولوجية وآليات العلاج فضلًا عن الأمراض المزمنة والاختلالات المناعية، منها ما أثبت علميّا وطبيّا أنّ الاستماع إلى القرآن له تأثير مباشر في تقليل التّوتر فضلًا عن كونه يحفّز الجهاز المناعي، وكذلك الأخذ بالأحاديث الشّريفة والعمل بمقتضاها يفيد في حالات رفع الوعي الانساني فضلًا عن وجوب الحجر الصّحي في الأمراض المعدية الفتاكة[1]، ولاسيما فيما يتعلق بمفهوم(الوقاية) الذي يعدّ الحصن الأول في مواجهة الأوبئة المعدية .

والوقاية منحة ربانيّة فمن): (وقاه الله وقاية وواقية: صانه، ووقيت الشيء أقيه إذا حسّنته وسترته عن الأذى)) [2]، أمّا في الاصطلاح الصّحي فالوقاية : هي الإجراءات التي تتخذ لحماية الانسان من المرض وتسمى (العلاج الوقائي)، وهو عكس العلاج التقويمي أو الشفائي الذي يعطى عندما يكون الشّخص مصابًا بمرض أو في حالة غير صحيّة، فالإجراءات الوقائية المتعلقة بالفرد أمر ضروري للحفاظ على الصّحة ووقف انتشار المرض، أمّا الوقاية الجماعية فيقصد منها الطّب الوقائي في مجال الصّحة باتباع القوانين الصّحيّة والتحصين الشّامل ضد الأمراض مما يساعد على حماية المجتمعات من أمراض كثيرة [3] .

ولقد توصلت الأبحاث الطّبية الوقائية المعاصرة إلى علاج الأمراض المزمنة فضلًا عن أمراض الأوبئة بنتائج باهرة مفادها: أنّ المكوّن المادي للشخص لا يمكن فصله عن المكوّنات العاطفيّة والروحيّة، وأنّ العلاج لمثل الحالات المعدية لن يكون مؤثرًا تأثيرًا كاملًا إذا لم تتم عملية الاستعداد على المستوى المادي الطبيعي في الجسم فضلًا عن العاطفي والرّوحي، وإنّ الفشل في التوافق بين هذه المستويات العلاجية والإخلال بهما يقلل كثيرًا من فاعلية العلاج ؛لأنّ الخلايا المناعية يمكن لها قراءة عقل صاحبها وتستجيب للأشعة الكهرومغناطيسية والنّبضات المارّة للعقل أي الأفكار والعواطف، وعندها يستطيع الشّخص التّحكم بشدّة في

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد : ٥٦٣-٥٦٧ .

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (وقى) .

(٣) الطب الوقائي، m.marefa.org .

وظائف خلاياه المناعيّة من خلال التّحكم بأفكاره وعواطفه[١]، وفيما يتعلق بجائحة كورونا وخطورة تداعياته الصّحيّة على النّفس الإنسانية فهو الأولى بالتصدّي له فضلًا عن مراعاة الواجب الشّرعي بحسب ما ذكرته غالبية مراكز البحوث الإسلامية والإفتاء منها: مجمع الفقه التابع لمنظمة التّعاون الاسلامي[٢]، الذي أوصى إلى مراعاة ما ورد في كلام رسول الله (ﷺ) ولاسيما فيما يتعلق بمجال المناعة والحدّ من العدوى يؤدي إلى فاعلية التّحكم في وظائف الخلايا المناعيّة .

وقد كانت لأساليب البيان التي وردت في الأحاديث الشّريفة دور بارز في تشكّل الوعي الإنساني ورفع الكفاءة الفكرية والرّوحيّة ومنها : حديث رسول الله (ﷺ) برواية الإمام البخاري : ((**لا عَدوى ولا صَفَر ولا هامَة، فقال أعرابيّ: يا رسولَ الله فما بال إبلي في الرّمل كأنّها الظّباء، فيأتي البعيرُ الأجربُ فيدخل بينها فَيُجْرِبُها؟ فقال : فَمَنْ أعدى الأولَ ؟**))[٣]، **وبرواية الإمام مسلم ((لا عدوى ولا طِيَرةَ ولا غُولَ ...))** [٤] .

لا عدوى : أي لا سراية للمرض عن صاحبه إلى غيره، والعدوى اسم من الإعداء يتعدى بها الجرب إلى غيرها فيصيبها، ولا طيرة : من التطيّر وهو التّشاؤم بالطّيور، وكانت العرب تتطيّر بالسّوانح والبوارح فتنفرُ الظّباءَ والطّيورَ، فإذا أخذت ذات اليمين تبركوا بها ورخّصوا في سفرهم واذا أخذت ذات الشّمال صدّوا عن مقصدهم وتشاءموا، ولا هامّة : وهي طيور اللّيل مثل البوم، إذ كانوا يتشاءمون بها فتصدّهم عن مقاصدهم [٥]، ولا صفر: دوال في البطن وهي دود تهيج عند الجوع وربما قتلت صاحبها وكانت العرب تراها أعدى من الجرب[٦]، ولا غول: تزعم العرب قديما أنّها غيلان في الفلوات، وهي جنس من الشّياطين بتغيرها وتلونها تضلّ الناس عن الطريق فتهلكهم[٧].

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة : ٥٩٦ .

(٢) فيروس كورونا المستجد وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية، منظمة التعاون الاسلامي : www. oic-oic .org .

(٣) صحيح البخاري، الإمام محمد بن اسماعيل البخاري : ٤/ ١٩ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، رقم الحديث ٢٢٢٢ : ٣١١ .

(٥) منحة الباري بشرح صحيح البخاري، القاضي محمد بن زكريا الأنصاري : ٢١/٩ ؛ وينظر: صحيح مسلم شرح النووي : ٣١٤ .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي : ٣١٠ .

(٧) المصدر نفسه : ٣١٠-٣١٤ .

والحديث الشّريف بتنوع رواياته فضلًا عن تشكل دلالاته الظاهرة تصبّ في قضيّة واحدة، وهي تصحيح الاعتقاد الذي كان سائدًا عند العرب قديمًا ؛ بكون الأشياء تؤثر بطبيعتها تأثيرًا مباشرًا من غير أصل موجد أو مُغيّر، فالحديث الشّريف يدعو الرّسول (ﷺ) فيه إلى عقيدة صافية تزيل رَين الجاهلية عن عقول الناس، ويرسخ في أذهانهم جوهر التّوحيد بصفات الألوهيّة والربوبيّة لله تعالى، فهو سبحانه الأوّل والآخر في الخلق والتدبير، والإيجاد والتّيسير، والإصابة والتّصريف، وقد أبان شرّاح الحديث عند تناولهم مدار الحديث في مفاهيمه ومعانيه على هذا الأصل العقديّ في التّوحيد، فكلّ ما ورد في كلامه (ﷺ) فيه ابداع للفنّ البيانيّ ما يفوت حدود البلغاء، فبلاغته (ﷺ) إنما هي شيء كبلاغة الحياة في الحيّ، ولكنها أبدع مما هي؛ لأنّها الحياة أيضا[١]، فالحديث الشّريف فضلًا عن دلالات ألفاظه الظّاهرة التي تشير إلى إبطال اعتقاد أهل الجاهلية بكون الأشياء تعدي بطبعها، فإنّ فيه إثراءً دلاليًا بمجال المجاز منح الحديث ديمومة بالدّلالات المتنامية التي تأخذ بعضها بحُجز بعض في علاقات بيانيّة تعزّز الفكرة العقديّة وتقوي جانب الإدراك العقليّ وصولًا إلى الايمان والتّسليم بألوهيّة وربوبيّة الله تعالى .

وقد أظهرت ألفاظ الحديث الشّريف سلسلة منتظمة من دلالات المجاز المرسل الذي يعدّ ضربًا من التّوسع في الكلام، فترى اللّفظ ينتقل بحيوية من مدلول أصلي إلى مدلول جديد، يستثير الذّهن ويشرع للمعاني آفاقًا عريضةً تتقبلها النّفس ويستسيغها الذّوق [٢]، فتدفع بالمتلقي إلى تغيير قناعاته أو يعيد على وفقها فكره سلوكه .

وقد وردت سلسلة المجازات العقلية في الحديث الشّريف مقرونة كلّها بأداة (لا) النّافية للجنس لعموم ما ورد من الاعتقاد الباطل بمفاهيم: العدوى، الصّفر والهامّة والطّيرة، وقد نحا بعض الشّراح إلى جعل(لا عدوى) نهيًا لمن يعتقد بذلك، وأخرون جعلوها خبرًا بمعنى : لا تقع عدوى بطبعها[٣] .

وحقيقة هذه الآراء أفادت توسيع مجال المجاز في إنتاج دلالات متعددة تتناسب مع معاني الحديث الشّريف وتلائم مقاصده، فسلسلة المجازات المرسلة عبّرت عن حركة الدّلالة بنفي: (الدّور والتّسلسل)، وهذا من روائع إيراد شكل البيان في كلامه (ﷺ) :

فسلسلة الدّور تناوبت فيها مفاهيم مشوبة باعتقاد باطل لدى المخاطَب في: (العدوى، الصّفر، الهامّة، الطّيرة) بعلاقات المجاز من السّبب والمسّبب :

---

(١) السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، الاستاذ محمد صادق الرافعي : ٥٤-٥٥ .

(٢) علم أساليب البيان، د. غازي يموت : ٢٣١ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : ٣١٣ .

عدوى : سبب – علّة – والمقصود منه المسّبب – المعلول – بانتشار الإصابة بالجرب .
صفر : سبب – علّة – والمقصود من المسّبب – المعلول – بانتشار الإصابة بالدّود .
هامة : سبب – مؤثر – والمقصود منه المسّبَب – المؤثر به – الصّد والانصراف .
طيرة : سبب – مؤثر – والمقصود منه المسّبَب – المؤثر به – الصّد والانصراف .

لتعود هذه السّلسلة المجازية بالدّوران ؛ فتؤول الأسباب المعتقدة باطلا إلى شكل المسّبَبات لغيرها : فعدوى : تؤول إلى كونها مسبّب عن غيرها بتفشي العلّة الأولى في الإصابة بالجرب وانتشاره، وكذلك صفر: تؤول إلى مسبّب عن غيره بتفشي العلّة الاولى في الإصابة بالدّود وانتشاره، وهامّة : تؤول إلى مسبّب عن غيرها بتداول اعتقاد صحة الصّد والانصراف . وطيرة : تؤول إلى مسبّب عن غيرها بتداول اعتقاد صحة الصّدّ والانصراف .

وهكذا دواليك في استمرار دوران سلسلة المجاز بالمفاهيم المعتقدة باطلا والرّاسخة في أذهان النّاس ؛ ليأتي كلامه (ﷺ) بشكل من الصّياغة تنفي نفيا قاطعا بدلالة أداة نفي العموم لجنس الاعتقاد بمفاهيم باطلة، فضلًا عن كون عبارة النّفي المطلق قرينة سياقية بعدم حتمية الحدوث، وهذا الإيراد في الدلالة ينسجم تماما ويتناسب مع قاعدة عظيمة من قواعد أصول الاعتقاد والتوحيد وهو ما يطلق عليه بـ(بطلان الدّور والتّسلسل) في الخلق والإيجاد .

وتعدّ هذه المقولة وهي من أدلة البراهين العقلية[١]، فلابد من خالق واحد وموجد للأشياء بأسبابها ومسبّباتها وما جرت به العادة في الظّهور والتّجدد فهي من ممكنات الحدوث وإن كانت مطّردة .

وقد أوضح (ﷺ) حالة النّفي المطلق بقطع سلسلة الدّور الذي كان معتقدًا عند إجابته (ﷺ) لسؤال الأعرابي **بقوله : فما بال إبلي في الرّمل كأنّها الظّباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيُجْرِبُها ؟ فقال (ﷺ) : فمن أعدى الأول .**

قوله (ﷺ) : أعدى، فأصله من عدا يعدو إذا جاوز الحدّ، أعدى أي جاوز الجرب إلى غيره، فالجرب يعدي ويجاوز ذا الجرب إلى من قاربه حتى يجرب[٢]، وقد أورد (ﷺ) كلامه

(*) مقولة بطلان الدّور والتّسلسل هي: أن يتوقف الشيء في وجوده المطلق أو تكييف معين على شيء آخر، إلا هذا الشيء متوقف في الوجود أو التكييف على الشيء الأول، ومنه قولنا : وجود البيض متوقف على وجود الدّجاجة ثم وجود الدّجاجة نفسه متوقف على البيض، وهو شكل من الجدل لا طائل له، هذا النوع من بطلان القول يعدّ من جملة الحقائق والمبادئ الفطرية التي تعد ذاتها براهين كما في مقولة : (بطلان الرجحان من غير مرجح) . ينظر: كبرى اليقينيات الكونية، د. محمد سعيد رمضان البوطي ١٩٩٧: ٨٦–٨٧ .

(٢) لسان العرب : مادة (عدا) .

بالاستفهام الإنكاري الذي أفاد نفي حدوث العدوى مستغربًا ومتعجبًا (ﷺ) من هذا المعتقد، فهي دعوة إلى الفهم والإفهام لحقيقة الخلق والإيجاد في أصل الأشياء، فيقطع بها صحة فكرة الدّور والتّسلسل وبطلانهما في إحداث الأشياء بأصل وجودها .

والمتأمل في الحديث الشّريف يجد أنّ المفاهيم بعضها ورد بلفظة : (عدوى، صفر)، وهي كائنات حيّة مجهرية كالبكتريا والطّفليات المعدية التي لها دورة حياة خفية في : ولادة ونمو وقدرة على التكاثر، وبعضها الآخر بلفظة (هامّة، طيرة) لكائنات حيّة مخلوقات طائرة تكون دورة الحياة ظاهرة فيها وأكثر وضوحًا، فهذه المكوّنات على اختلاف أنواعها يطالها قانون الخلق والإيجاد والانتهاء، فضلًا عن كونها كائنات مخلوقة ليس لها القدرة على الإصابة بطبعها بل بوجود ظروف مناسبة تساعدها على العدوى والانتشار، ويمكن أن تجنب الإصابة ومقاومة المرض بإفرازات ينتجها الجسم على شكل انزيمات ضد الميكروبات فضلًا عن أنّ الجسم يولّد أضدادا تساعد على مقاومة البكتريا والفيروسات والطّفليات فضلًا عن امكانية تجنب العدوى بالنّظافة والعزل[1]، وبهذه المعطيات العلميّة نفهم حقيقة كلام الرسول (ﷺ) بطلان الدّور في العدوى بصيغة الاستفهام الإنكاري: (فمن أعدى الأول) .

فالحديث الشّريف ذكر كائنات حيّة لها دورة حياة كاملة في الولادة والنّمو والقدرة على التكاثر، كأنّ في الظّاهر لها القدرة على النشأة والايجاد في العدوى، وهو ما نفاه الرّسول (ﷺ)، ويلحظ من الإيراد في الألفاظ السابقة بسياق النّفي الظّاهر أنّ الكائنات غير الحيّة التي ليس لها دورة الحياة الطبيعية من الولادة والنّمو والتكاثر فضلًا عن الموت كالفايروسات، فهي غير مقصودة في منفيات المفاهيم الواردة في الحديث الشّريف ؛ لأنّها في الأصل تفتقر إلى غيرها في الوجود ولا تعيش إلا في وسط كائن حيّ مضيف، فالفيروسات لا تعد كائنات حيّة لأنّها لا تستطيع التكاثر بصفة مستقلة، ولها تصنيف خاص بترتيبها في عائلة وفصيلة وجنس ونوع، ولغرض التكاثر تغزو الفيروسات خلايا الجسم وتسيطر عليها، ويتم غالبًا تدمير الخلايا المُضّيفة في نهاية الأمر خلال هذه العملية، فهي كائنات خاملة غير قادرة على الحركة طالما هي خارج الخليّة، ويمكن التّخلص منها بالماء والغسل بالمطهرات وغيره [2].

والسّؤال الذي يرد في الأذهان ويلبس على الكثيرين : كيف ينفي الرّسول الأكرم (ﷺ) نفيا قاطعًا حصول العدوى في الأصناف المرضيّة التي ذكرها منها: (الجرب والصفر– الديدان المعدية–)، في حين أنّ حقيقة وجود ظاهرة (العدوى) في الأمراض المعدية قد أثبتتها الدّراسات

(١) الأمراض المعدية، د. عثمان الكاديكي : ٦٣، ٢٣٢ .

(٢) الفيروسات ar.wikipedia.org ؛ وينظر : www.mayoclinic.org/ar/diseases-com .

الطّبية في وقتنا المعاصر بما يسمى علم الأحياء الدقيقة الذي يشمل كائنات حيّة: البكتيريا والفطريات والطحالب الأولية، وكائنات غير حيّة تشمل الفيروسات(١) .

نقول والله تعالى أعلم : الحديث الشّريف بحسب الأصناف التي ذُكرت يقصد منها نفي العدوى من جهة أصل الحدوث ولاسيما في الكائنات الحيّة الظاهرة التي يطالها قانون الحَدث والإحداث في الخلق والإيجاد، وهو اتجاه عقدي عناه الرّسول (ﷺ)، ولا تندرج تحت هذا الحديث أصناف في العدوى بكائنات غير الحيّة الخفية التي تحتاج إلى مُضيّف تعتاش عليه وتتكاثر فيه ؛ كالفايروسات التي ذكرناه سابقا ومنها فايروس (كورونا)، فهذا النّوع من المعديات من جهة القدرة على الخلق والايجاد هي أضعف من الأصناف التي ذكرت في الحديث الشّريف ؛ لأنها محتاجة إلى كائن حيّ مفتقر هو بذاته إلى غيره في الوجود والحياة والإنماء، أمّا بخصوص حقيقة حدوث العدوى في مفهومها الواسع وبوصفها ظاهرة حياتية تطال الجنس البشري فقد وردت أحاديث أخرى ترشد وتحذر بقوة الأسلوب وجزالة الكلمة عن عدوى تنشط وتنتشر، يدخل في حيّزها أمراض الفايروسات فضلًا عن عدوى البكتريا والفطريات من الجُذام والطّاعون وغيرها . ومن هذه الأحاديث الشّريفة قوله (ﷺ): ((**وفرَّ من المَجذُوم كما تفرُّ من الأسد**)) (٢)، وحديثه (ﷺ) : ((**لا يُوردنَّ مُمرِضٌ على مُصِح**))(٣) .

والحديثان الشّريفان فيهما من توالد وتنامي الدّلالات بمجال البيان الذي يثري المعاني المتوخاة، ويشيران الحديثان بكل وضوح إلى مسألة (العدوى) بوصفها سببًا للمرض الذي يؤول إلى الوباء هي مسألة أكّد عليها (ﷺ) في أحاديث عديدة، وما عدوى فايروس كورونا ببعيدة عن هذا الأمر، فهو من ضمن المنهي عنه بمقتضيات دلالات الحديثين الشّريفين، فضلًا عن الأخذ بحديث الحَجْر من الطّاعون تستكمل دائرة المنع والنّهي في إحداث العدوى وتداعياتها بقوله (ﷺ): ((**إِذَا سَمِعْتُمْ بالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تدْخُلُوها، وإِذَا وقَعَ بِأَرْضٍ وأَنْتُمْ بِها فلَا تخْرُجُوا منْهَا**)) (٤) .

ويظهر بكل وضوح أنّ مدار هذه الأحاديث الشّريفة في تشكيل المعاني المقصودة لتحييد العدوى قد أنتجتها دلالات البيان بأسلوبي: التشبيه والمجاز :

---

(١) الفيروسات ar.wikipedia.org .

(٢) صحيح البخاري : ١٧/٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٣١/٤ .

(٤) المصدر نفسه : ٤/ ٢١ .

ففي حديث: فرَّ من المَجذُوم كما تفرُّ من الأسد، ورد التشبيه مجملا من غير ذكر وجه الشبه، لتوسيع مساحة إضافية في المعاني المشتركة بين تداعيات حالة المجذوم(١)، والابتعاد عنه ومقتضيات الحضور الذّهني لصورة الأسد والفرار منه، وصولًا إلى المعاني المتوخاة والغاية المرجوة في الحذر الشّديد والسّرعة القصوى فضلًا عن الابتعاد الآمن من خطر محدق عظيم هالك .

وفي حديث (لا يُوردنَّ مُمرضٌ على مُصحٍ) تضافرت دلالات صياغيّة متنوعة بأساليب صورية من المجاز والتّضاد فضلًا عن توسيع مساحة المعنى بالحروف الزائدة، إذ تضايفت كلّها في الدعوة إلى الاحتراز من ظاهرة العدوى ولاسيما تلك الأمراض التي تسببها البكتيريات والفايروسات.

فمن جهة صورة المجاز استعيرت حالة (الورود) إلى الماء عن حالة دخول المجذوم بين الإبل، فاستعار لتلك المشابهة بجامع المخالطة الشّديدة بين شيئين، قال الزّمخشري : أصل (ورد) من ورود الماء، ومن المجاز ورد المحموم فهو مورود(٢)، فجاء النّهي الجازم مبالغة في المنع فضلًا عن أنّ دلالة (ورد) في سياق المعجم لا تدل على الدّخول والاختلاط في الشّيء بل بمعنى أشرف عليه وبلغ عنده (٣) .

---

(١) الجذام : داء تتجذم – تتقطع– الأصابع به، ورجل أجذم نزل به الجذام وهو من الأمراض المعدية، كانت العرب تتطير منه وتتجنبه . (لسان العرب مادة (جذم)) . وقد وردت أحاديث شريفة تراعي الجانب الإنساني في معاملة أصحاب الأمراض التي تسبب العاهات المستديمة مثل الجذام وغيره، وبعض الأحاديث تبدو في ظاهرها تخالف النّهي عن المخالطة مع المجذوم مثل حديث عنه صلى الله عليه وسلم : أنه أخذ بيد مجذوم فوضعها مع يده في القصعة، فهو من باب تسلية المجذوم ومعاونته نفسيا في تحمل المرض وتداعياته الاجتماعية فضلًا عن دفع التوهم في أذهان الناس ان الإصابة لا تحصل طبعا في الأشياء من جهة الخلق والإيجاد بل بتقدير الله سبحانه، وعلى هذا المنوال في رعاية المجذوم وتسليته نفسيا ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم (لا تديموا النظر إلى المجذومين). ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، قاضي القضاة احمد بن حجر العسقلاني : ١٣٠/١٠؛ فاذا أدام النّظر إليه قد يحمله على تحقيره، ويرى لنفسه فضلًا عليه، فيتأذى به المنظور إليه أي المجذوم .

(٢) أساس البلاغة : الإمام جار الله الزمخشري : ٦٨٦ .

(٣) لسان العرب : مادة (ورد) .

وهذا أبلغ معنىً في التحذير والنّهي عن المقاربة فكيف بالاختلاط نفسه، ومما وسع المعنى إضافة (نون) التّوكيد الثّقيلة بوصفه حرفًا يفيد الاتّساع والتّوكيد [١]، إذ أفادت زيادة في المبالغة في النّهي عن العدوى، وتستكمل ذروة المبالغة في الوصف بصورة الطّباق الذي أفاد الاستغراق بدلالة التّضاد بين اسمي الفاعل بصيغتي النّكرة (ممرض / مصح)؛ لإضفاء صفة حيوية فاعلة تشمل كلّ أشكال المباينة بين حالة العدوى وتداعياته المرضيّة وبين حالة الصّحة في ديمومتها، أمّا من جهة تعزيز الوقاية الصّحيّة فخطاب السّنة النبوية توافق مع الخطاب القرآني في تناول كثير من المظاهر الكونية: وصفًا تارةً وتصويرًا تارة اخرى، مصاحبًا دلالات علمية معرفيّة تنطوي على أبعاد تخص النّفس الإنسانية وجودًا ماديًا وحياةً نفسيةً، وإنّ مراعاة العمل بمقتضاها يُكلل بالقدرة على تجاوز المحن والابتلاءات وليس جائحة كورونا وتداعياتها بمنأى عن ذلك، ولاسيما فيما يتعلق بتحفيز الوعي الوقائي للحّد من انتشار الجائحة من خلال مراعاة العزل المنزلي للأفراد وعدم الاختلاط الذي خلّفه منع التجوال القسري لمعظم بلدان العالم الذي أثر على مجريات واقع النّاس فضلًا عن اضطراب نمط حياتهم في مسايرة تعاقب اللّيل والنّهار : حركةً وسكونًا، إيقاظًا ونومًا، حتّى طال الاضطراب أوقات تناول الطّعام بانتظام ؛ فأدى إلى إحداث اختلال صحي : جسمي بيولوجي، فضلًا عن توترات نفسية خلفته تداعيات جائحة كورونا إثر انحسار الطلبة عن الدّوام المدرسي فضلًا عن تعطيل الدّوام لمعظم شرائح المجتمع، مما أعطى زخما للسّهر ليلا حتى ساعات الصّباح وبصورة مفرطة .

ولقد توافق مفهوم الوقاية من السّنة النبوية مع آيات كريمات نظمت كيان الإنسان بوصفه مخلوقًا يتأثر ايجابًا وسلبًا بما حوله من الظواهر الكونية المتمثلة في آيتي : اللّيل والنّهار بمتعلقات ظرفيهما، وأنّ الأخذ بمقتضيهما يحقق وجودا أسعد وحياة آمنة، فضلًا عن تعزيز المناعة الوقائية بشكل كبير ولاسيما من تداعيات انتشار فايروس كورونا؛ لأنّ العكس من ذلك يؤدي إلى تفشي الفايروس بقوّة، بسبب انهيار المناعة الصّحيّة للجسم، وهذا التوجيه الرّباني توافق مع التطور العلمي البيولوجي الذي أثبت أنّ لدى الإنسان ساعة بيولوجية[٢]، تقع

---

(١) الجملة العربية والمعنى، د. فاضل صالح السامرائي : ٢١٥ .

(٢) السّاعات البيولوجية أو السّاعة الحيّوية بالإنجليزية(Biological Clock) : الكثير من الكائنات الحيّة لديها ما يعرف بالسّاعة الحيوية التي تنظم وقت النوم ووقت الشعور بالجوع والتغيرات في مستوى الهرمونات ودرجة الحرارة في الجسم. وتعرف التغيرات الحيوية والنفسية التي تتبع دورة السّاعة الحيوية في ٢٤ ساعة بالإيقاع اليومي وأنماطا سلوكية دورية إيقاعية بالإنجليزيةrhythmic cycles : أي تحدث عند فواصل زمنية منتظمة، تتفق غالبا مع دورة الليل والنهار أو مع تعاقب الفصول، وللبشر إيقاعات بيولوجية على مدار الأيام كلها، ويختلف

في الدّماغ تعطي الإيعاز بانتظام لإفراز هرمونات معينة منها : مادة الأنسولين وهرمون متعلق بالنّماء فضلًا عن هرمون النّشاط وغيرها مما يعزز قوة الجسم وصلابة مناعته، ويتم كل ذلك في فترتي : الضّياء والظّلام، إذ تعطي هذه الفترات توقيتات دقيقة في الإيعاز إلى الغدد لإفراز هرموناتها المعينة في وقت الظّلام وهرمونات معينة في وقت الضّياء، وإنّ الخلل في أوقات افراز هذه الهرمونات يؤدي إلى أمراض نفسية منها الكآبة، وجسمية ومنها السّمنة، فضلًا عن حالة الكسل والتّراخي الذي يضعف جهاز المناعة لدى الإنسان ؛ ليندفع نحوه الفايروس بقوة محطما الدفاعات الحامية للجسم، فلابد من مراعاة للسّاعة البيولوجية الممنوحة هبةً من الله تعالى للإنسان والعمل على تنشيط وظيفتها بانتظام وتهيئة الظروف المناسبة لاشتغالها.

ولنتأمل قوله تعالى في وصف حالتي الضّياء والظّلام في تعاقب اللّيل والنّهار، وكيف أن أساليب البيان التي وردت في وصفهما تتناسب صحيًا ووقائيًا لدرء مخاطر عدوى فايروس كورونا وتقليل تداعياته السّلبية: قال تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾[1].

بمعنى جعل الليل مسكونًا فيه للهدوء، فقوله تعالى (سكنا) تدل على الوصف في الأزمنة المختلفة لا الزمان الماضي فقط [2]، وفي موضع آخر يصف آيتين منفصلتين بسياق واحد في عرض نعمه تعالى الكونيّة بقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ ﴾ [3].

ويبدو بكل وضوح أن محور الدّلالات التي شكلت المعاني المقصودة بمعطيات الظّواهر الكونيّة في آيتي (اللّيل والنّهار) تستند في اشتغالها إلى قدرة الدّلالة البيانيّة بحركتها المتنامية في تبئير المعاني المتوخاة وتكثيرها، إذ توالفت الدّلالات البيانيّة بمجالي التّشبيه والمجاز،

مستوى الهرمون والكيميائيات الأخرى في الدم على مدى هذه الفترات الزمنية. فعمليات الجسم الحيوية تتم بانتظام كل ٢٤ ساعة، وتتسق أنشطة الخلايا والغدد والكليتين والكبد والجهاز العصبي بعضه ومع إيقاع النهار والليل في البيئة.يتغير المعدل الذي تتم به عمليات الجسم تدريجيًا في أثناء اليوم. وعلى سبيل المثال تختلف درجة حرارة الجسم بمقدار درجة واحدة . ينظر : ساعة بيولوجية / https://ar.wikipedia.org .

(١) سورة الانعام، الآية : ٩٦ .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، العلامة شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي: ٧/ ٢٣٢ .

(٣) سورة النبأ، الآية : ٩-١٠ .

واقترن المجالان فيما أطلق عليه: التشبيه المكني[١]، وقد تحقق مظهر الدعوة الوقاية الصّحية في الآيتين : (وجعل اللّيل سكنا).

و(وجعل لكم اللّيل لباسا) بصورتي التّشبيه البليغ والاستعارة المكنية ؛ فالمشبه (الليل) مذكور واضح بيّن، وأن المشبهين بهما محذوفان: (المكان/ الانسان)، وذكر شيء من لوازمهما : الاستقرار بالسّكن والطمأنينة فيه، السّتر باللباس وغشيان سواده، أمّا الدّلالات الناتجة عنهما فتؤكدان على كون (اللّيل) فترة مُهيأة لتكيف النّوم ومعينة للانتفاع به ؛ لأن اللّيل ظلمة عارضة في الجو من حالة مزايلة ضوء الشّمس، وبتلك الظّلمة تحتجب المرئيات فيقل النّشاط وتتهيأ الأعصاب للخمول، فتسكن النّفس ثم يغشاها النّعاس ويجلّلها؛ ليحصل السّبات في هيئة النّوم[٢] .

وعززت السّنة النّبوية المسار في مراعاة النّظام الكوني الذي عناه الخطاب القرآني فضلًا عن تحصين المناعة الوقائية بشكل كبير ولاسيما من تداعيات انتشار فايروس كورونا ؛ لأن العكس من ذلك يؤدي إلى تفشي الفايروس بسبب انهيار المناعة الصحيّة للجسم وخاصة فئة الشّباب بدرجة كبيرة، لكون حالة العزل المنزلي غيرت مجرى حياتهم وقلبت موازين اليوم والليلة عندهم، فلا وجود لليلٍ هادئ ينعمون بظلمته في الرّاحة والنّوم، ولا حضور لهم في نهار وارف يتفيؤون تحت ظلّه، ومن الأحاديث الشّريفة التي راعت مفاهيم الواقع الاجتماعي للمحيط المعاش للإنسان :

قوله (ﷺ) : ((أطفئوا المَصابيحَ بالليل إذا رَقدتُم وغلّقوا الأبوابَ وأوْكُوا الأسْقيةَ وخمّروا الطّعامَ والشّرابَ)) [٣].

---

(١) بعض البلاغيين جعل من بعض أمثلة (الاستعارة المكنية) شكلا من (التّشبيه المكني)، ويسمى المضمر وهو نوع من (التّشبيه البليغ) يذكر المشبه صراحة ولا يذكر المشبه به صراحة بل يذكر شيء من لوازمه أو بعض صفاته أو بعض خصائصه القريبة أو البعيدة كناية عنه . ينظر: البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها، د. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : ٢٠٤/٢ .

(٢) تفسير التّحرير والتّنوير، الإمام الطاهر بن عاشور : ١٩/٢٠ .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني: ٧/١١ .

مفهوم الرّقدة : هي النّومة، وعند بعض أهل اللّغة يطلق صيغة (الرّقود) للنّوم في اللّيل وصيغة (الرّقاد) للنّوم في النّهار، وقد تطلق الصيغتان على النّوم في اللّيل والنّهار[١]، وفي سياق الحديث الشّريف أنجزت دلالة البيان مهامها في أسلوب الكناية بإنتاج المعاني المتوخاة، والمراد منها تحقق صفات من: السّكون والطمأنينة وراحة النّفس فضلًا عن فوائد جمّة : صحيّة اجتماعية فضلًا عن فوائد اقتصادية منها ما يتعلق بغلق الأبواب ليلاً، أمّا .(إيكاء السّقاء) فهو شدّ رباط القِربة أو الوعاء[٢]، وما يتعلق بـ(تخمير الشّراب) هو تغطية الوعاء الذي فيه الشّراب، فكلّ مُخمر مغطى[٣] . وشُراح الحديث الشّريف أشاروا إلى ذلك في عمومه من باب درء المفسدة عن الإنسان، وقد جزم الإمام النّووي أنّ فيه إرشادًا لكونه لمصلحة دنيوية لأهل الدار منها الاقتصاد بمنع التبذير فضلًا عمّا فيه من مصلحة دينية وهي حفظ النّفس[٤]، ودلالة الحديث تشير إلى عملية (الإطفاء) يراد منها منع الضّوء والنّار معًا، فالصّحابة لم يكونوا على علم ومعرفة بأن الضّوء قد يضّر في بعض الأحيان، و لو كان يقصد من الحديث تحصيل الضّرر الوحيد من المصابيح هو النّار لكان (ﷺ) قادرًا في التّعبير والبيان أن يقول: (احترزوا من نار المصابيح) فحسب، ولكن توجيهه (ﷺ) أشار إلى أن ضرر المصابيح أكبر من علّة النّار .

وهي غاية مقصودة منه عليه الصّلاة والسّلام، فعندما يأتي الليل (فترة السّكون) يفضل إطفاء المصابيح والسُّرج، وإن لم يُرد الإنسان النّوم في هذا التوقيت، لأنّ التعرض المستمر للإضاءة بالنّهار والليل قد ينتج عنه أضرارًا صحية، كما أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أنّ الضّوء يؤثر على جهاز المناعة من خلال تأثيره على العين ثمّ المخ، فضلًا عن تأثر الخلايا الليمفاوية التي تنتج هرمون الميلاتونين الذي يقوم بتنشيط المناعة، وهي عملية تتأثر بالضّوء عندما يتعرض له الجلد ويصل إلى الخلايا الليمفاوية التي توجد في الدّم القريبة من سطح الجلد، فيثبط الضّوء قدرة الخلايا على تكوين وإفراز الميلاتونين ؛ مما يؤدي إلى نقص المناعة بطريقة غير مباشرة، فضلًا عن تعرض الجلد إلى فترات من الظلام يقوي مناعة الجسم[٥]، فأكدت الدّراسات على أنّ الضّوء في غير أوقاته المناسبة يؤثر سلبًا على جهاز المناعة لدى الإنسان ويدخل في سياقه الظّرفي ضوء أجهزة الموبايل وما شابه ذلك ولا سيما في الليل،

---

(١) لسان العرب : مادة (رقد) .

(٢) المصدر نفسه : مادة (وكى) .

(٣) المصدر نفسه: مادة (خمر) .

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ٧٢/١١ .

(٥) إظلام المصابيح ليلا إعجاز نبوي من التلوث الضّوئي، الباحث هشام عبد الرحمن حسن: https://quran-m.com / .

وللحماية من هذه الأضرار التي تقلل المناعة وتضعف جانب الوقاية ينبغي التعرض لفترة معينة للظلام فضلًا عن السّكون في الليل، والتمتع بغشيانه عند الرّقاد للنّوم، فهو يعدّ أفضل وقت لإنتاج مناعة للجسم وتقويته أمام العدوى، ويكون هذا الأمر ملزمًا في ظلّ جائحة كورونا التي أضحت خطرًا جسيمًا يهدد حياة النّاس في وجودهم وآفاق مستقبلهم .

الخاتمة

تعدّ الدّلالات البيانيّة أفضل الأطر في توليد المفاهيم المتنامية ولا سيما فضاء الدّلالة المجازية ؛ لأن محرك اشتغال هذه الدّلالة يرتكز على المعاني الثواني النابعة من الذّهن، والذّهن محل تصور المعاني في الفهم والإدراك، فدلالة البيان بلغة المجاز هي نمط من الأداء يكون الكلام فيه باعثًا ايحائيًا فاعلًا في استشراف المعاني بمقاصد اضافية متجددة حسب وعي المتلقي، والعلاقة بين لغة المجاز والمتلقي حوارية يستشف منها المعنى، وتبعث في مخيلته معاني جديدة أو تحيله إلى استقبال معانٍ متعددة ، ولا سيما في مجال المجاز المرسل الذي يكون أكثر حيوية عند استعمالات الكلمة في التّعبير عن الواقع المتغير والمستجد ، وأما فاعلية مجال المجاز المرسل الحيوية فتكون بسبب علاقاته الذّهنية المتنوعة التي تنتج تناميًا دلاليًا بحسب التّطور الواقعي ، فالدّلالة تزداد نماءً بزيادة المعاني المقصودة عند توسيع مجال استعمالها للكلمة، وسرّ تغيُر مدلولاتها في المفاهيم بقابليتها على استيعاب التّطور المعرفي والنّشاط الحياتي والاجتماعي.

والسّنة النّبوية الشّريفة في خطابها المبارك استعانت بمجال دلالات المجاز، فدأبت في استكمال منهجية الهداية الممزوجة بالإيمان بأساليب بيانية باهرة، تدرأ من خلالها المخاطر الجسمية والنفسية المحدقة بالإنسان بوصفه خليفة في الأرض، فدعا المؤمنين خاصّة والنّاس أجمعين للعمل بما يحفظ الضّرورات الخمس : الدّين والعقل والعِرض والمال مقرونة بحفظ النّفس من المهالك ولا سيما فايروس كورونا وتداعياته الخطيرة . فعززت السّنة النّبوية بالأحاديث التي تناولت مفاهيم الوقاية؛ لتحصين المناعة الوقائية بشكل كبير ولاسيما انتشار فايروس كورونا الذي مازالت البشرية تكافح تداعياته الراهنة .

ثبت المصادر

- أساس البلاغة، الإمام جار الله الزّمخشري، ضبط وشرح د. محمد نبيل طريفي، دار صابر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ .
- الأصول- دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسان، دار الشؤون الثقافية، بغداد، (د.ط)، ١٩٨٨ .
- الأمراض المعدية، د.عثمان الكاديكي، الدار الجماهيرية للنّشر والتّوزيع والاعلان، بنغازي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨ .
- البلاغة العربية -اسسها وعلومها وفنونها-، د. عبد الرحمن حسن حبنكة، دار العلم والدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.
- بناء الصّورة الفنية في البيان العربي، د. كامل حسن البصير، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧.
- بنية العقل العربي، د. محمد عابد الجابري، مركز الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ٢٠٠٠.
- التطور اللغوي – مظاهره وعلله وقوانينه –، د. رمضان عبد التواب، مكتبة خانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧ .
- التعريفات، العلامة علي بن محمد الشّريف الجرجاني، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت) .
- تفسير التحرير والتنوير، الإمام الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، (د.ط)، ١٩٨٤ .
- الجملة العربية والمعنى، د. فاضل صالح السّامرائي، دار الفكر، الطبعة الثانية، الأردن، ٢٠٠٩ .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، العلامة شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت) .
- السّمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، الأستاذ محمد صادق الرافعي، تحقيق أبي عبد الرحمن البحيري، دار البشير للعلوم والثقافة، مصر، (د.ط)، ٢٠١٠ .

- صحيح البخاري، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- صحيح مسلم بشرح النّووي، مؤسسة قرطبة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤ .
- الصّورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، الولي محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ .
- علم أساليب البيان، د. غازي يموت، دار الفكر اللبناني، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٥.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أبو الفضل شهاب الدين أحمد حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ .
- الكليات، أبي البقاء أيوب الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، ١٩٩٨.
- كيمياء المجاز بين الخطاب القرآني والانساني، الأستاذ بوعافية محمد عبد الرزاق، مؤسسة حسين رأس الجبل للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠١٩ .
- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت) .
- اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ .
- مبادئ اللسانيات،د .احمد محمد قدور . دار الفكر، دمشق . الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨ .
- المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د.ط)، (د.ت) .
- المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتب اللبناني، بيروت، (د.ط)، ١٩٧٩ .
- منحة الباري بشرح صحيح البخاري، القاضي زكريا محمد بن زكريا الأنصاري، تحقيق سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرّشد، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ .
- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسّنة المطهّرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣ .
- نظرية البيان العربي –خصائص النّشأة ومعطيات النّزوع التّعليمي–،.د. رحمان غركان ، دار الراني للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٨ .

مواقع الإنترنت :

- إظلام المصابيح ليلا إعجاز نبوي من التلوث الضوئي، الباحث هشام عبد الرحمن حسن،/https://quran-m.com .
- ساعة بيولوجية / https://ar.wikipedia.org
- طب وقائي : m.marefa.org
- الفيروسات https://ar.wikipedia.org/8 ؛ و www.mayoclinic.org/ar/diseases-conditions:
- الفيروسات https://ar.wikipedia.org/8 .
- فيروس كورونا المستجد وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية .-www.oic oci.org .